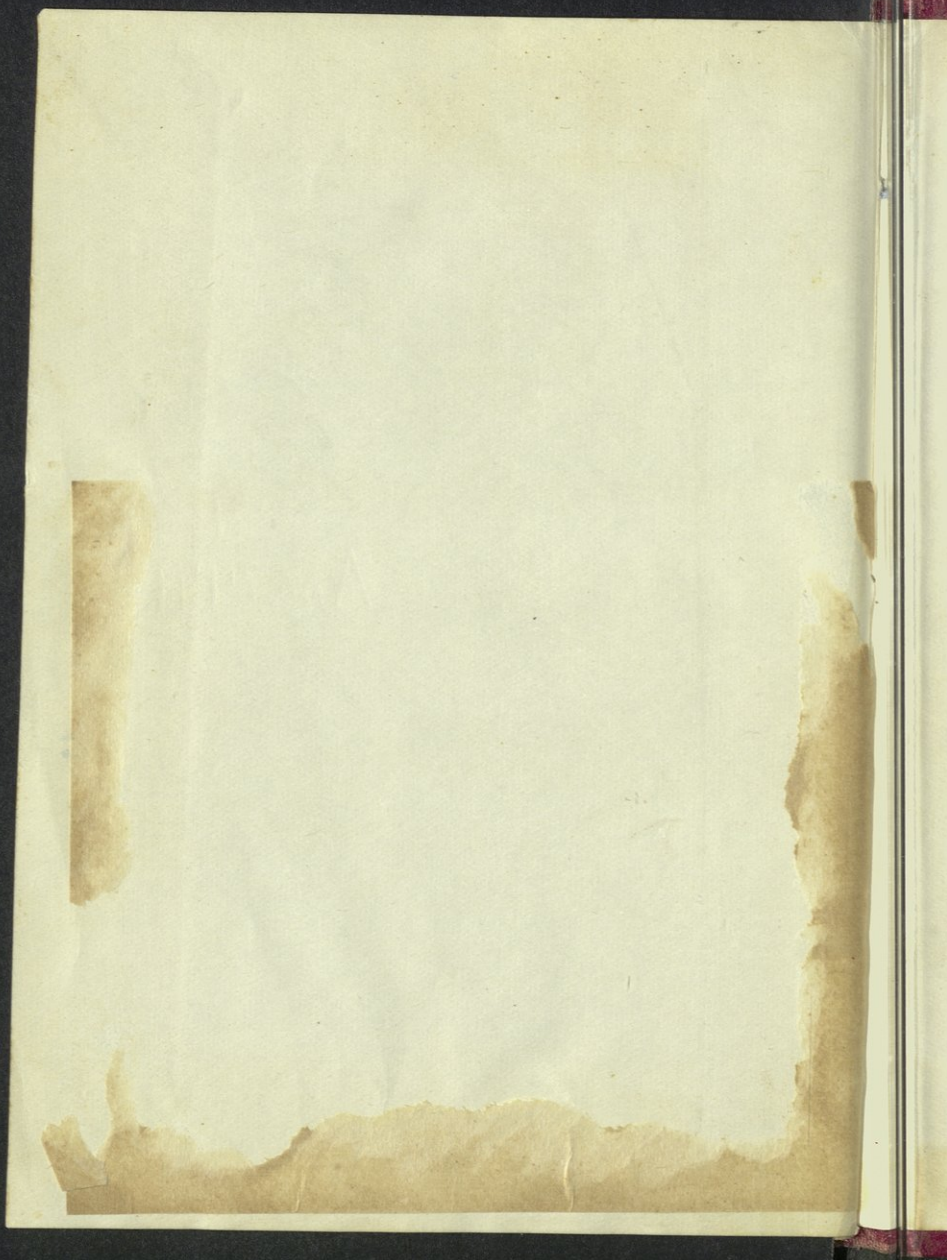


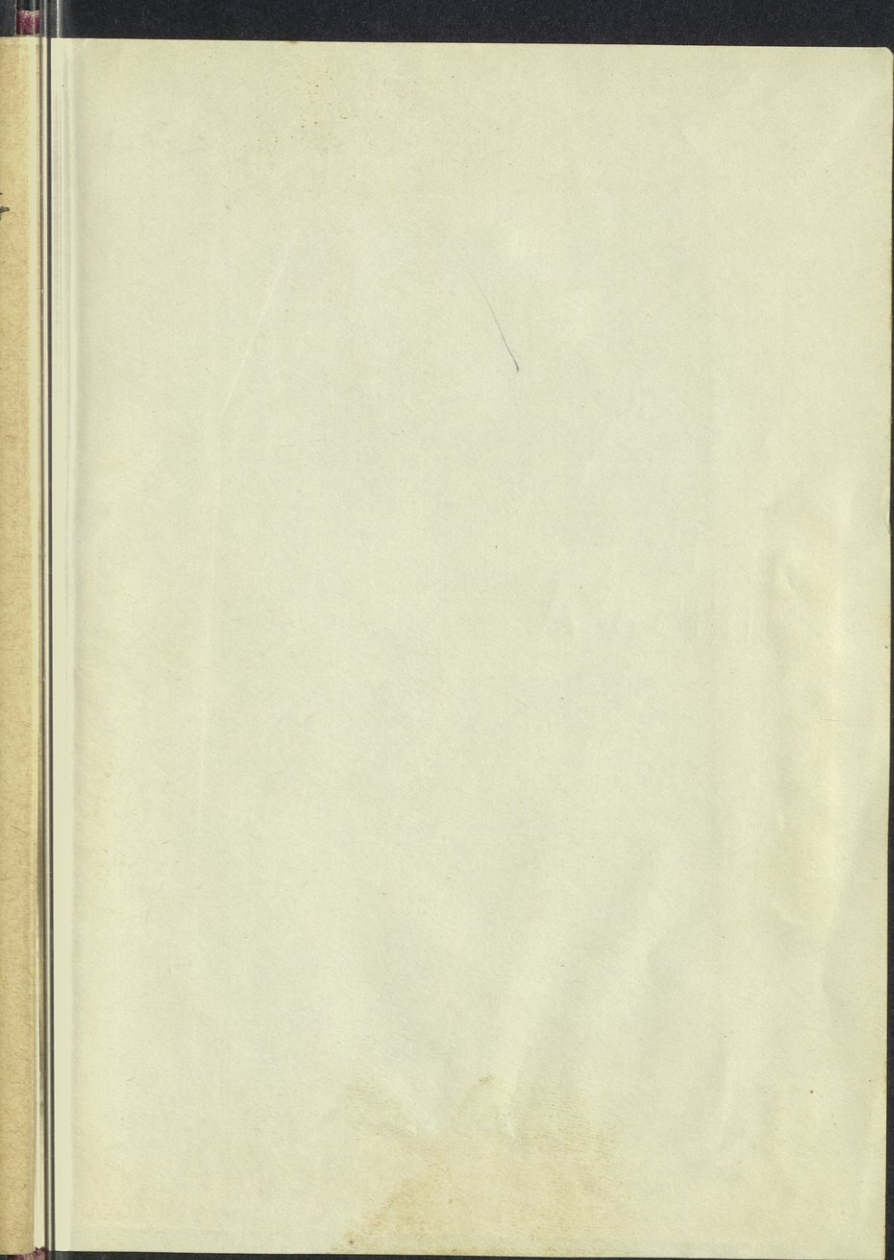
السان

الرسول استاذ الحياة

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

مجلد کتب
صالح الدقر





297.63

S189rA

C.1

رسالة الفتيحة والهدية

٢

الرسول استأذ الحياة

محمد عبد الله السمان

الغبن ٣ قروش

الطبعة الثالثة { ربيع الاول ١٣٧٣ هـ
ديسمبر ١٩٥٣ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الاهراء

إلى كل مسلم في مشارق
الأرض ومغاربها يعتز كل
الاعتزاز بشخصية محمد
صلوات الله وسلامه عليه ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

إن في أحاديث الرسول ثروة ضخمة من الثقافة والتربية بجميع ألوانها ، ولكن الكثيرين من المسلمين لا يحاولون الانتفاع بهذه الثروة الضخمة القيمة ، إما منصرفين عنها كلية ، وإما آخذين منها ما لا يمت إلى الحياة الصحيحة بصلة ، وإما يحاولين الركون إلى الأحاديث الملتوية المخترعة التي تشبع رغبات السذج البسطاء .. والذي زیده، إن يتأكد الكاتب أو المطالع أو المحاضر من صحة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أولا ، ثم ليحاول أن يقدم للمسلمين منها الزاد المحتاجين إليه ..

كان الرسول قائدا وسياسيا ، وداعيا ومربيا ، وضع عليه السلام أصول القيادة ، والسياسة ، والدعوة ، والتربية ، ورسم في كل هذه مناهج تصلح لتوجيه الأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - فلنحاول - أن نقيّد من هذه المناهج ، وفيها الخير كل الخير ..

محمد عبد الله السمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبيعة الاولى

ما تلوت حديثاً من أحاديث الرسول الاعظم — صلوات الله وسلامه عليه — إلا وجدت فيه فلسفة عميقة . وعبقريّة فذة ، ولونا من ألوان التربية الرفيعة العالية .

وما كنت لأدع حديثاً واحداً أقرأه ، أو أستمعه ، يمرّ بي قبل أن أتناوله بالبحث والتنقيب ، لأقف على سرّ البلاغة فيه وموضع العظمة والعبرة منه .

ولست أدري لم نذهب بعيداً ، إذا أردنا دراسة الحياة ، ولنا في سيرة محمد وعبقريته وفلسفته ، ما يجعلنا قادة الدنيا وأساطين الحياة وأساتذتها ؟ .

إن أحاديث الرسول تعتبر أعظم مدرسة للحياة ، وأعظم مدرسة للتربية الرفيعة والتوجيه السليم ، وأعتقد أن السرّ في انصراف المسلمين عن هذه المدرسة ، إنما يرجع إلى المتصدين لعرض أحاديث الرسول ، فهم في الغالب لم يتقنوا إلا عرض الأحاديث التي تتصل بالصلاة والزكاة والصيام والحج ، حتى أصبحوا متخصصين في هذا النوع ، وأتقنوا مع هذا عرض لون آخر من الأحاديث ، يلقون

به في ميدان الجدل والمناقشة والمهاجرة ، أما الأحاديث التي تتصل
بشؤون الدنيا ، وقيم الحياة الصحيحة ، فينبهم وبينها عداوة مستأصل
وجفاء مستحكم . . . !

كان محمد أستاذاً للحياة . . . !

تستطيع أن تقولها وأنت مرفوع الرأس على الجبهة .
تستطيع أن تقول هذا مراراً وتكراراً ، وتستطيع أن تعلن
هذا على رؤوس العباقر والفلاسفة من الشرق والغرب ، فلم يكن
محمد إنساناً عادياً فحسب ، ولكنه كان صاحب رسالة خالدة غير
متقيدة بزمان أو مكان أو جنس ، جاءت لتقود العالم حتى يقطع
مراحل الحياة سعيداً في غير ما قلق أو تنغيص ، وشخصية كهذه لها
قدرها وخطرها ليس بكثير عليها أن تكون أستاذاً للحياة .

وعباقر الغرب الزهاء لم يفهم أن يقرأوا بهذا ويعلموه ،
فها هو ذا الفيلسوف الروسي « تولستوى » يقول :

« وما لا ريب فيه أن النبي محمداً من عظام الرجال المصلحين
الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه خيراً أنه هدى
أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تخرج للسكينة والسلام ، وفتح
لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص
أوتي قوة — ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام . »

القاهرة — محمد عبد الله السامح

مدرسة الحياة المحمدية

كانت لمحمد — صلوات الله وسلامه عليه — أكبر مدرسة للحياة ، وما زالت هذه المدرسة قائمة إلى اليوم ، وستظل قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، بتعاليمه وتوجيهاته . . . والذين يعتقدون أن مجداً انصرف رسالته عن الحياة إلى الآخرة ، يضعون من قدره ويحيطون من شأن رسالته ، لأن رسالته لم تأت إلا تنبيه للبشرية حياة ناجحة سعيدة . . . ، ولم تكن إلا مدرسة للحياة الصحيحة التي تنعم الانسانية في ظلها .

ولقد تخرج من مدرسة الحياة المحمدية الأولى الألوف المؤلفة من المسلمين الذين ملأوا الدنيا نورا وعلما ومدنية ورقيا ، ولو انتسب المسلمون إليها اليوم لكانوا في حالة غير حالتهم هذه ، ولأصبحوا في المكانة اللائقة بهم ، كرامة أراد الله لها العزة إلى أن تقع السماء على الأرض ، ولكنهم انصرفوا عنها ، فضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

إن الذين يسلكون طريق الحياة الصحيحة الناجحة ، ينتفعون من حياتهم قبل أن يفاجئهم الموت ، ومن صحتهم قبل أن يفاجئهم المرض ، ومن فراغهم قبل أن يمتص الشغل أوقاتهم ، ومن شبابهم قبل أن يزورهم الهرم ، ومن غنائم قبل أن يحالفهم الفقر ، فانظر إلى مجد يعظ رجلا في هذا المعنى فيقول له :

«اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

والحياة الصحيحة تحتم على العاقل أن يسعى في الأرض اذا ضاق رزقه، وان يعالج الأمور إذا استعصمت عليه، وألا يستسلم للدعة إذا تراجعت عليه الخطوب — ولقد رأى حمداً أبا إمامة متربعا في المسجد في غير وقت الصلاة، مهموما مغموما، فسأله عما أجلسه في المسجد وليس الوقت وقت الصلاة، فأجابه: هموم لزمته، وديون كثيرة يارسول الله...! فأراد الرسول أن يوجهه إلى الحياة الصحيحة دون أن يجرح شعوره أو يمس إحساسه، حتى ينفض عن نفسه غبار الدعة والتواكل، فقال له: ألا أعلمك كلمات إذا قلتم في صباحك ومساءلك أذهب الله عنك همك، وقضى دينك؟ قل: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال..

والحياة الصحيحة تحتم على العاقل أن يكون حذرا يقظا، لا يستغفل ولا يستخرف منه — ولا يضحك عليه — وقد هجا أبو عزة الشاعر حمدا والمسلمين، فلما وقع في قبضة الرسول يوم بدر سأله العفو على ألا يعود إلا هجائه مرة أخرى، ولكنه لم يف بوعده، وواصل هجاء محمد والمسلمين، فأوقعه حظه النسيء مرة أخرى

في قبضة الرسول ، ولما حاول التماس العفو لم يجبه الرسول
إليه وأمر بقتله وهو يقول :

« ألا لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . »

والحياة الصحيحة تحتم على العاقل ألا يكون متواكلا يلتمس
أهون الأسباب ليظل في كسله وتواكله ، ويريد أن يبلغ غاية وهو قعيد
في فقر داره ، ويحقق هدفه بغير عمل ، ويريد أن تستجيب الدنيا
لآماله ومطامعه بدون سعي ، فانظر إلى محمد في هذا المعنى يقول :
« العاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى . »

« إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقوان : اللهم إن شئت
فأعطني ، فإنه لا مستكره له . »

والحياة الصحيحة تتطلب التوسط في الأمور ، والاقتصاد في
المعيشة كما تتطلب الضمير الحى في المرء وفي هذه المعاني يقول الرسول :
« خير الأمور أوسطها »

« الاقتصاد نصف المعيشة . »

« إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه . »

والحياة الصحيحة لا تتطلب تضییاع الوقت في الجدل ،
ولا التعقيد في الأمور ، ولا التهرب من المسؤوليات :

« ماضل قوم بعد هدى إلا أتوا الجدل . »

« يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا . »

« كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت . »

محمد الربيعي

كان محمد مربياً من الطراز الأول ، فقد كانت التربية هي مهمته الأولى ، ودعامة رسالته في الحياة .

ولم تكن طريقة محمد في التربية مجرد نظريات تلقن لتحتفظ ، ولا مجرد أساليب منمقة تزخرف لتخدع ، وإنما كانت دروساً عملية ، ونظريات فلسفية ، وأساليب حية قائمة على المنطق السليم . وقوة المربي إنما تقاس بإثماره ونتائجه في التربية ، وتربية محمد بلغت أسمى درجات القوة ، فقد استطاع أن يخلق من أجلاف العرب ، ذوى العقول المتبلدة ، والقلوب المتحجرة ، قادة عظاما ، وساسة دهاء ، وأساطين في العلم والأدب والفن .

ظل محمد — المربي — ثلاثة وعشرين عاماً كان خلالها نعم المربي لأتباعه وأصحابه ، يهيئهم للحياة الصحيحة الناجحة . وبعدهم جيلاً صالحاً للمستقبل ، ولم يكن لودع كبيرة ولا صغيرة إلا تناو لها بطريقته التربوية السليمة ، وكان يفتخر الحوادث والأحداث ، فيستغلها لالقاء دروس في التربية يفتفع الجميع منها .

أبصر ذات مرة رجلاً غنياً جلس بجانبه فقير ، فانقبض عنه ، وجمع ثيابه ، فقال عليه السلام : أخشيت أن بعدو عليك فقره ؟ وكان هذا درساً في التربية لذلك الغني المتكبر .

وأبصر ذات يوم أبا مسعود يضرب غلامه بسوطه ، فناداه

بصوت مرتفع : ارفع سوطك أبا مسعود ، فإن الله أقدر عليك
منك على هذا الغلام !.. فكان درسا في التربية قاسيا لأبي مسعود ،
لم يسهه إزاؤه إلا أن يعتق غلامه .

وقال سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ذات
مرة لأبي سفيان : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله
مأخذها .. فقال أبو بكر : تقولون هذا أشيخ قريش وسيدها ؟
فما أن سمع الرسول حتى خاطب أبا بكر قائلا : أهلك أعضبتهم ؟
الئن كنت أعضبتهم لقد أعضبت ربك !..

هذه دروس في التربية الرفيعة ، تحمل أعظم المعاني في التربية
وترمي إلى إقرار مبدأ المساواة بين الغني والفقير ، والقوى والضعيف .
وأعطى بعض الصحابة ابنا له عطية موزه بها على إخوته ،
وأراد أن يشهد الرسول على هذه العطية فقال عليه السلام : أعطيت
سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فاتقوا الله وأعدلوا بين
أولادكم . فرجع الرجل فرد عطيته .

وسأله سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع - وقد ألم به
وجع - أن تصدق بثلاثي مالي ، فاني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة ؟
قال . لا ، قال : فالشطر ؟ قال : لا ، قال : فالثلث ؟ قال : الثلث
والثلث كثير ، إنك إن تترك ورثتك أغنياء ، خير لك من أن
تتركهم عامة يتكففون الناس !..

وهذا لون آخر من التربية المحمدية الرفيعة ، فلو أن الصحابي الأول مضى في تمييز أحد ابنائه على الآخرين ، لكان هذا داعياً إلى بذر بذور الاحن والبغضاء والحقْد بين الاخوة ... ولو أن سعداً رضى الله عنه أمضى في تصدقه بثلاثي ماله ، لكان هذا داعياً إلى قطيعة الرحم ، ولكن محمداً راح بتربيته الرفيعة يحول دون هذا وذلك ، ليقرر معنى العدالة بين الأبناء ، وصلة الرحم التي أوصى الله بها .

ولقد كانت تربية محمد الرفيعة تقوم دائماً على المنطق السليم ، وأعظم ألوان التربية ما كان قائماً على المنطق السليم .

أناه غلام شاب ، فقال : يا نبي الله ، أتأذن لي في الزنا ، فصاح الناس به ، فقال النبي : قربوه . . أدن ، فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال له : أتحبه لأملك ؟ فقال : لا . جعلني الله فداك قال (ص) : كذلك الناس لا يحبونه لأهماتهم ، أتحبه لا بفتك ؟ قال : لا . جعلني الله فداك ، قال (ص) : كذلك الناس لا يحبونه لبنايتهم ؟ وهكذا حتى ذكر الرسول الأخت والعمة والخالة والغلام الشاب يقول : لا . جعلني الله فداك ، والرسول يقول : كذلك الناس لا يحبونه . . ولم يتركه الرسول حتى وضع يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا .

محمد السیاسی

لم تكن السياسة في نظر محمد السياسي - صلوات الله وسلامه عليه - ضرباً من ضروب الشعوذة والدجل والارتزاق ، ولا لوناً من ألوان الخيلة والتغزير والتضليل - ولكنها كانت في نظره لباقة في تدبير الأمور حتى تظهر بالنجاح ، وحزماً في تصریفها حتى تتفادى الفشل ، وإخلاصاً للغاية التي من أجلها أُلقيت على عاتقه مهمة السياسة ، وتحمل تبعاتها . . . إذا كانت مقاييس السياسة النجاح ، فقد بلغ محمد ذروته ، وإذا كانت مقاييس السياسة تفادى الفشل ، فلم تصب سياسة محمد بالفشل مرة واحدة ، وإذا كانت مقاييس السياسة الاخلاص في سبيل الغاية ، فقد ضرب محمد المثل الأعلى للاخلاص في سبيل غايته .

قد يحلو لبعض الحمقى الأغبياء من المسلمين لفظاً لا معنى ، وخيالاً لا حقيقة ، كما يحلو للحاقدين المتزمتين من غير المسلمين ، أن يجعلوا محمداً بمعزل عن السياسة ، وأن يعتبروا مهمته لم تكن سوى مهمة دينية روحية ، تجذب البشر إلى ملكوت السموات ، ونسمو بهم عن أرجاس الأرض ! . .

وهؤلاء جميعاً لا نعى بترهاتهم ، ولا نقيم لأضاليلهم وزناً ، لأنهم أنفقه من أن نعى بهم أو نقيم لهم وزناً . فإذا كان محمد الذي غير وجه التاريخ ، وأحدث برسالته أكبر انقلاب عرفته البشرية ، وأقام دولة فتية ، وأعدامة حية ذات منهاج يقوم على أسس الحق

والعدالة - إذا كان محمد هذا في نظرهم لا يحسب في عداد السياسة فأجدربنا وأسمى أن نغض الطرف عنهم ، لا نقهقراً ولا نخاذلاً ، ولكن احتقاراً واستخفافاً ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » .

كان محمد سياسياً حازماً في سياسته ، بعيد النظر في تدبيره الأمور ، كان يرتب القيادة للجيش عند خروجه للجهاد ، حتى إذا استشهد القائد تولى من بعده في الترتيب ، فلا يحدث ارتباك أو اضطراب في صفوف المجاهدين .

وقبل شروط صلح الحديبية على ما فيها من إجحاف بحقوق المسلمين ، لأن قوة المسلمين لم تكن تمكنهم من الوقوف أمام جبهات الأعداء وجها لوجه ، وليشهد العالم على بغى أعدائهم ونفسهم .

ولم يكذب بل يثر بعد الهجرة ، حتى أخذ في موادعة اليهود حتى يتمكن من الاستقرار ، وحتى لا يناضل في أكثر من ميدان واحد . . .

وكان محمد سياسياً يتمتع بدهاء واسع ، والدهاء من ألزم

اللوازم للسياسة ، ولكنه كان دهاء نبيلاً سامى المقصد شريف
الهدف والغرض .

لقد ترك علياً أهله هجرته على فراشه لتطمئن أعين المتربصين به ،
وبقى بالغار مع صاحبه ثلاثة أيام ، ليضل من تعقبوا خطواته ،
واقفوا أثره .

وتزوج من ابنتى أبى بكر وعمر ، وزوج من بناته عثمان
وعلياً ، تقديرآ لأقذارهم ، وتثبيتاً لأواصر الصلة بينه وبينهم فى
سبيل دعوته وحدها .

وتزوج من أم حبيبة بنت أبى سفيان ليمتألف بهذه الزيجة قاب
والدها ذى الشأن الخطير ، فى سبيل تدعيم دعوته بأقوى
العناصر وأهمها .

وتزوج من مارية القبطية ، وصفية بنت حبي بن أخطب اليهودية
ليعلن المودة والسلام بين الاسلام وغيره من الأديان الأخرى .
وهادن بن قبيلى الأوس والخزرج يثرب إثر الهجرة ، وأطفا
حربهما التى أكلت الأخضر واليابس ، وذلك لاستتباب الأمن ،
واجتماع أصول الفوضى والاضطراب ، وليجد لدعوته جواً
هادئاً وديعاً .

وأخى بين المهاجرين والأنصار إثر هجرته أيضاً ، ليقرر مبدأ
التضامن الاجتماعى ، الذى كان ضرورياً لدولته الوليدة الجديدة .

وكان محمد سياسياً لبقاً ، واللباقة من ضروريات السياسة ،
والسياسى اللبق هو الذى يتخلص من المأزق ، ويتجاشى
الوقوع فى الحرج ، وفى تاريخ محمد السياسى الكثير والكثير
من هذه اللباقة السياسية . .

حين دخل المدينة راكباً ناقته عقب الهجرة ، تنافست
القبائل فى استبقائه باحياها ، وتسأقت إلى خطام الناقة
لايقافها ، ولكن رسول الله خاطبهم قائلاً : دعوها فانها مأمورة . .
حتى إذا توقفت الناقة من نفسها عند بنى النجار ولم يكن هناك
تدثر فى القبائل ، بل رضيت خواطرها . .

وهى عن سب قتلى قريش فى غزوة بدر قائلاً : « لا تسبوا هؤلاء
فانه لا يخلص إليهم شئ مما تقولون ، وتؤذون الأحياء ، ألا إن البذاءة
الئوم » وذلك لمنع وقوع الشغب ، وبحول دون اندلاع السنة الفتن .

* * *

وكان محمد سياسياً ديمقراطياً ، والديكتاتورية من معوقات
السياسية ودواعى فشلها . وتاريخ محمد السياسى يشهد بديمقراطيته ،
فلقد كان أصحابه موضع مشورته فى الأمور كلها ، إلا ما نزل
به وحى من الله تعالى . . استشار أصحابه فى غزوة بدر قبل أن يبدأ
القتال ، ليرى مدى استعدادهم ، ويختبر إيمانهم ، ولما وجدهم على قلب
رجل واحد ، وذوى عزيمة واحدة . قال لهم : امضوا على بركة الله . .

كما أن تاريخ محمد السياسي يشهد بأنه لم يميز نفسه على سائر
اصحابه، فقد كان يقول: إن الله يكره من عبده أن يتميز على غيره.
كان أبو العاص — زوج زينب بنت الرسول — ضمن
أسرى بدر، فأرسلت زينب قلادة أمها خديجة في فداء زوجها،
فترك الرسول الأمر للمسلمين قائلاً لهم: إن رأيتم أن تطلقوا
لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعالم... قالوا نعم...!
هذه خواطر موجزة عن محمد السياسي، وفي تاريخ محمد
السياسي الكثير والكثير من عبقرية السياسية، التي لم يظفر
تاريخ البشرية بمثلها.

محمد الفتائد

إن القيادة مهمة دقيقة خطيرة ، لا يصلح لها إلا من أوتي
 حزمًا وعزماً وقوة ودهاء ، واتزاناً ووقاراً ولباقة وذكاء .
 ومحمد — لم يكن قائد جيش همه أن يخوض المعامع فحسب ،
 ولا قائد جيل من الناس همه أن يهيئ له حياة طيبة هنيئة فقط ،
 وإنما كان قائد أمة بأسرها ، أريد لها أن تكون خير أمة أخرجت
 للناس ، قادها إلى الخير ، وفتح لها طريق الرقي والعظمة والمدنية ،
 ورسم لها أصلح منهاج عرفته البشرية ، لتسير على هديه ، إلى أن
 يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد قاد محمد — ثلاث عشرة سنة — بين ربوع مكة ، كتيبة
 عزلاء من ضعفاء الناس ، آمنت بدعوته ، وصدقت برسالاته ، على
 مرآى ومسمع من جحافل الشرك ، وعباد الوثن ، وعمالقة الجاهلية ،
 متحدية بطشهم وبغيهم ، وسلطانهم ونفوذهم ، بل متحدية أصناف
 الأذى وألوان العذاب التي كانوا يصيبنها عليها صبا ، ومرت الثلاثة
 عشر عاما — وهي أطول من ثلاثة عشر قرنا — دون أن تفن هذه
 الكتيبة المؤمنة عن دينها ، ودون أن تنال ذرة من إيمانها ، ودون
 أن تصيب عقيدتها بشيء من الفتور أو الضعف أو الوهن .

لقد كانت قوة القائد هي التي تسيطر على هذه الكتيبة وتنفض
 فيها من روحها — كان يمر بأصحابه وهم يعذبون ، فيرى بعينيه ،
 ويسمع بأذنيه ، فيحتبس الدمع في جفنيه ، ولكنه لا يزيد على قوله :

« صبراً .. فان موعدكم الجنة » إنها عبارة وجيزة ، ولكنها جديرة بأن يقف المرء أمامها طويلاً ، ليدرك كيف كان عهد القائد بصوغ كتيبته في قالب من الثبات والقوة ، فهو لا يبشر العذابين منها بالفرج أو الخلاص من العذاب المتتابع ، وإنما يوضح لها شرف الغاية التي من أجلها كلفت وفاضلت ، وتحملت صنوف الأذى والعذاب .

لقد كان القائد عهد بغضبه ويشيره ، أن ينطق ورد من كتيبته المؤمنة بالفاظ تحمل في معناها الوهن والضعف والاضطراب ، وكان يحرص كل الحرص على أن يظل أتباعه ثابتي العقيدة والایمان متحمسين في سبيلها أقسى المحن وأشد الفتن — جاءه أصحابه ذات يوم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، وقد لقوا من المشر كين شدة فقالوا : ألا تستنصر لنا .. ألا تدعو لنا ؟ فاجروا وجهه غضباً ، وقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين . ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، وليكنكم تسعة جلوز . !

وقاد عهد — عشرة أعوام — بين أرجاء يثرب وما حولها ، شعباً مسلماً ، قاده في ميادين القتال فأدهشت انتصاراته العالم بأسره

وقاده في مساكنه ومساجده وفي شؤون حياته فجعل منه شعباً
حياً ناهضاً تعز به الحياة .

أما الصفات التي يجب أن تتكون منها شخصية القائد الناجح ،
من الحزم والعزم واللباقة والدهاء وما إليها ، فما لا ريب فيه أن
محمد قد ضرب المنزل الأعلى في جميعها . حسبنا أن نحدثك عن شيء
من لباقة القائد محمد ، ولباقة القائد لا تظهر على حقيقته إلا حين
تتخرج الأمور ، وقد مرت بمحمد القائد ظروف عصيبة ، ومفاجآت
بلغت القمة من الحرج ، ولكن لباقة محمد القائد استطاعت أن
تغلب على هذه الظروف وتلك المفاجآت وتقهرها ...

في فتح مكة كان سعد بن عباد — زعيم الخزرج — يحمل
راية الرسول ، وأخذ يصول ويجول ، وهو يقول : يا أبا سفيان !
اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً .
فهرع أبو سفيان إلى الرسول قائلاً : يا رسول الله ، أمرت بفعل
قومك ؟ إنى أشد الله في قومك ، وقال بعض الصحابة للرسول :
ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة ، فطمأن
الرسول أبا سفيان ، وأمر بعزل سعد ، ولكن لباقة أوحى إليه
بأن يولي مكان سعد ابنه « قيسا » فعزل رجل كسعد زعيم قومه
ليس بالهين ، وتركه ليثيرها حرباً يوم فتح مكة والرسول لم يهدف

إلى الحرب بعد أن أمكنه الله من رقاب قریش — له خطورته أيضاً ، وهنا تدخلت لباقة القائد لتجسم الأمر . فعزل سعداً ليرضى خواطر قریش المغلوبة على أمرها ، وولى مكانه ابنه ليرضى خواطر سعد ذى الشأن الخطير ..

ولست انتصارات القائد — بها بلغ عددها — وحدها دليلاً على جدارة القائد بمهمة القيادة ، فقد يستطيع القائد الديكتاتورى أن يحرز انتصارات عديدة دون أن يكون وراءه قلب واحد من قلوب جنوده معه ، فيكون فى هذه الحال أشبه بالمتعمد على رجل خشبية ، أما حين يملك القائد أجساد جنوده وقلوبهم معاً ، فيكون حينئذ جديراً بمهمة القيادة وشرفها .

كان عهد القائد يملك قلوب أتباعه ، حتى يضمن الاستقرار والنجاح فى مهمته على الدوام ، والقرآن نفسه قد لفت نظره إلى هذه الزاوية تقديرأ لها : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين »

« يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » .

وكان الرسول يكرم أتباعه ويعتز بهم ويعتد ، لاسيما الضعفاء منهم ، فقد كان لبلال الحبشى ، ولصهليب الرومى ، وسلمان الفارسى منزلة يحسدكم عليها رجال العرب من أهل مكة ويثرّب ، وما كان أكثر ما يقول : أبغونى فى الضعفاء ، فانما تنصرون

وترقون بضعة فائكم» وما كان في أخرج الساعات لية تحمل كلمة تنال من قدرهم . ففي فتح مكة ، قال أبو سفيان وحكيم بن حزام : يا محمد ، جئت بأوباش الناس — من نعرف ومن لا نعرف ، فقال : أنتم أظلم وأجبر ، فجاء رده سهماً في نحرها .

وكان القائد محمد حريصاً أيضاً على أن يحوط جنوده بسياج من الوقار ، يابى أن ينال من قدرهم ، أو تجرح شخصياتهم لأن كلا منهم أشبه بلمبة في الدعامة التي يقيم عليها دولته .

قد تحدث من الجندي أشياء يستحق عليها اللوم والمؤاخذة . ولكن القائد محمداً كان يلوم ويؤاخذ بقدر ، حتى تظل شخصية الجندي في إطار من المهابة والوقار .

بلغه أن خالد بن الوليد قاتل يوم فتح مكة ولم يؤمر بالقتال ، فقال : قضاء الله خير ، وحدث أيضاً أن خالداً نفسه حين ولاه الرسول بعثة إلى بني جذيمة أن قتلهم وهم مقرون بالسلام متأولاً ، وقد جعل هذا الحادث رسول الله يرفع يديه قائلاً : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ... ! ولكنه لم يكذب يسمع إلا لسنة تمتد إليه لتتال منه حتى صاح قائلاً : دعوا خالداً .. فإنه سيف من سيوف الله سله على المشركين ... !

وحدث قبيل غزوة الفتح أن كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بما أجمع عليه الرسول من التوجه إليهم — وكان حاطب ممن

حضر بدران — ووقع الكتاب في يد الرسول فأحضر حاطبا وسأله عما حمله على ما فعل ، فقال . يا رسول الله : والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم ! فقال عمر : قاتلك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب ، وتكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يا رسول الله أضرب عنقه ، فإنه قد نافق ، فقال الرسول : وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . . .

إن ما حدث من حاطب يعتبر فى نظر القائد الضيق النظر خيانة عظمى ، ولكن لباقة القائد محمد قدرت ظروف حاطب ، وراعت ماضيه الناصع ، وحسن نيته . ولم تتصيد الهفوات للتشفي من جندي طامأ أبلى فى الاسلام بلاه حسنا . . .

وقد تخلف عن غزوة تبوك نفر من المسلمين من غير شك أو نفاق بل حبسهم المرض ، فانظر إلى لباقة القائد محمد ، إنه لم يتسهم حتى يبعث فى أرواحهم المعنوية القوة ، فقد قال : إن بالمدينة لأقواما ما سرنا من مسير ، ولا هبطنا واديا إلا كانوا معنا ، حبسهم المرض ، فنحن غزاهم ، وهم قعدتنا ، والذي نفسى بيده ، لدعائهم أنفذ فى عدونا من سلاحنا !

بل إنه فى الظروف التى تستلزم الغضب ، كان القائد محمد

يحرص كل الحرص على شخصية جنوده، ولا يدع فرصة للنيل منهم
والطمع فيهم ، وإليك لتعجب كل العجب ، حين ترى أن القائد
محجاً كان يغضبه ويشيره أن تمتد الأسنة إلى من يستحق أكثر
من اللعنة بعمله ، فقد حدث أن جلد مسلماً في شرب الخمر ، ولم
يكذب ينهى جلده حتى راحت الأسنة تلعبه ، ولكن القائد محجاً
أناره هذا ، وقال : لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم ١٠٠
ولقد كان القائد محجاً ، مثلاً أعلى للقيادة اللبقة الحازمة ، كان
بعيد النظر في كل أموره ، نافذ البصيرة في كل أموره وتصرفاته ،
فنجح في مهته إلى النهاية ... وكان لا يحب أن يتميز على جنوده
إلا في تحمل المشقات والتصدي للخطوب والصعاب ، نكسب
قلوبهم جميعاً ، وخاض حروباً عدة ، ومعارك كثيرة ، بجيش قليل
العدد والعدة ، أمام جيش من الأعداء يفوقه في كل شيء
إلا في الإيمان بالله ، فاستطاع أن يحوز النصر في كل معركة ...
كان قائداً حربياً ، يتقن فنون الحرب ، وقائداً سياسياً يتقن فنون
السياسة ، وقائداً روحياً يتقن تربية الأرواح والقلوب ..

وسائل الحياة الناجحة

نحو مجتمع سليم

إن الأمم الحية الراقية هي التي تظهر بمجتمعات سليمة، فالمجتمع السليم في الأمة دليل على عظمتها، ورمز على نهضتها، وبرهان ساطع يثبت وجودها بين الأمم العظيمة الناهضة .

والمجتمع مجموعة أفراد هم بمثابة الأعضاء في جسم الأمة، ولن تظل الأمة عظيمة إلا إذا سلم جسمها ، ولن يكون الجسم سليماً إلا إذا سلمت أعضاؤه ، ولن تسلم أعضاؤه إلا إذا فهِمت الحياة فهما صحيحاً ، يؤهلها للعيش الكريم . . .

وإذا فهم فرد الحياة الصحيحة، وتنكر لفهمها آخر، لا يمكن الظفر إلا بمجتمع مضطرب ، أما إذا تعاون الجميع وتضامنوا في فهمها ، كان من اليسير إيجاد هذا المجتمع السليم الذي تنشده أعظم الأمم وأرقاها . . .

والرسول منذ اللحظة الأولى من رسالته ، وجه كل عنايته إلى إيجاد مجتمع إسلامي نظيف يعشق المثل العليا ويعيش من أجلها ، ولم يودع الحياة الدنيا إلا والمجتمع النظيف السليم له قدره ومنزله بين أرجاء الدولة الإسلامية الناهضة .

والمجتمع السليم لا بد له من تعاون أفرادهِ وتضامنهم في الخير لينشروه ويصنّوا بناءه ، وفي الشر ليجتثوا أصوله ، ويقوضوا

بذيانته ، والرسول حرص كل الحرص على أن يضع أسس هذا التعاون وذلك التضامن ، في توجيههم وتربيته وإرشاده :

« ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم . كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا ، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » .

رواه البخاري

« أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلوما ، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » . رواه مسلم والمجتمع السليم لا بد له من قاعدة التناصح حتى يرسو عليها ، والرسول لم يفقه أن يقرر هذه القاعدة لأهميتها فقال :

« الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . رواه مسلم

إن هناك أمراضا اجتماعية خطيرة ، تقوض أركان المجتمع وتهدد به إلى الخضمض ، وإن يوهب له الأمن والاستقرار حتى يظهر منها . وفي مقدمة هذه الأمراض النفاق والملاق والتلون ، والحسد والبغضاء والبذاء وما إليها ، ولم يأل الرسول جهدا في مكافحتها في سبيل إيجاد مجتمع نظيف سليم :

« احثوا في وجه المداحين التراب » — رواه مسلم

« لا نقولوا المنافق سيد ، فانه إن يكن سيداً فقد أسخطم ربكم عز وجل » — رواه أبو داود .

« وتجدون شر الناس ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » — متفق عليه .

« لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً .. » — متفق عليه .

والمجتمع في مسيس الحاجة إلى الخلق الحسن ، والدول التي بلغت القمة من المجد ، والذروة من العزة ، لم تبلغ هذا وذلك إلا بالمثل العليا التي يضمها الخلق الحسن . .

والرسول لم يهتم بشئ . اهتمامه بتربية المسلمين على حسن الخلق ، كيف لا ، وهو لم يبعث إلا ليعتم مكارم الاخلاق :

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » — رواه الترمذى .

« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » . رواه البزار وغيره .

والمجتمع محتاج إلى الذوق السليم ، فان الذوق السليم في أفراد له دليل على رقى المجتمع وتحضره وسموه ، وكثيراً ما كان الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — يوجه الأمة إلى الذوق السليم ، وهاك بعضاً من توجيهاته ، التي تعتبر بمثابة مبادئ للذوق السليم :

« زر غباً تزدد حباً » — رواه الطبراني .

« سخافة بالمرء أن يستخدم ضيفه » — رواه الديلمي .

« إذا طال أحدكم الغيبة ، فلا يطرقن أهله ليلاً . متفق عليه .

« لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بأذنه » رواه الترمذي .

« إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث » رواه البخاري .

« لا يقيم أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن

توسعوا وتفسحوا » — متفق عليه .

والمجتمع في حاجة ماسة إلى المثل العليا ، والأمم الناهضة المتقدمة

لم يقيم بناؤها إلا على أسس سليمة من المثل العليا في أفرادها .

والرسول كان حريصاً على غرس المثل العليا في نفوس أتباعه ،

حتى يليقوا بخير أمة أخرجت للناس ، والمثل العليا لانهاية ولا حصر

لها ، فكل صفة اتصف بها مطمئناً بها قلبك ، فأتصافك بها من المثل

العليا ، وكل صفة اجتنبتها ضائعاً بها صدرك ، فاجتنبك إياها من المثل

العليا ، ولقد وجه الرسول المسلم إلى المثل العليا في حديث شريف :

« عن وابصة بن معبد أنه أتى رسول الله ﷺ فقال له :

جئت تسأل عن البر والائتم ؟ قال : قلت نعم ، قال : استفت قلبك ،

البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القاب ، والائتم ما حاك في النفس

وتردد في النفس ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » . رواه أحمد .

اليد العليا

الحريص على أن تكون يده العليا ، هو الحريص على كرامته وعزة نفسه حرصه على حياته . ولا نكاد نجد معنى لليد العليا أرقى وأسمى من الذى صورته الرسول في أن يكون المرء زاهداً فيما عند الناس ، يائسا مما في أيديهم ، ليظفر بالغنى الحقيقي :

« عز المؤمن استغناؤه عن الناس » - رواه الحاكم .

« عليك باليأس مما في أيدي الناس ، فإن ذلك هو الغنى » .

رواه ابن ماجه

إن الانسان الذى يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس، ويحفظ بها ماء وجهه من أن يراق ، هو إنسان يعشق الكرامة والعزة ، والرسول صب هذا المعنى في النفوس صبا، وحثها على اعتناقه حتى تظل كريمة عزيزة :

« لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتى الجبل ، فيأتى بحزمة حطب على ظهره ، فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

رواه البخاري

ولقد اهتم الرسول بالحث على السعى من أجل الحياة ، ليظل كل ذائد علما ، واعتبر أن خير ما يأكل المرء من طعام ، ما كان من عمل يده ، واعتبر أن العمل شرف لم يفت أفضله الناس لدى

« الله وهم الرسل صفوة الخلق — كما اعتبر أن التعب الذي يلقاه الانسان من جراء العمل مكفر للذنوب :

« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام ، كان يأكل من عمل يده » .

رواه البخاري

« من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له » الطبراني وقد ندد الرسول بالمسألة ، لأنها مهانة تضيع بجانها كرامة السائل ، وتتلشى شخصيته ، والرسول حريص كل الحرص على أن يظل الجميع أعضاء حية في المجتمع منتجة للأمة ، ولما كان السؤال وسيلة حقيرة من وسائل الدعة والبطالة ، فقد ندد بها الرسول ، لا سيما الذين يسألون عن غنى ، أو يسألون تكثرًا .. « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه حرة لحم » . متفق عليه

« من يسأل الناس أموالهم تكثرأ ، فأنما يسأل جمرأ » — مسلم وقد تكون هناك أحوال اضطرارية ، كأن يمد أحد اليك يد المساعدة ، من غير أن تسأل ، فهذا ضرب من ضروب الانسانية ، لم يرق المحتاح فيها ماء وجهه ، ولا تدخل فيما ندد الرسول به : « ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ » .

رواه البخاري ومسلم

الكرامة والاعتزاز بالنفس

الكرامة والاعتزاز بالنفس من أهم مقومات الشخصية العالية،
التي يعتز بها ويعتد ، فلا خير في إنسان لا يندشد الكرامة والعزة
في حياته ، ولا معنى لوجوده ، إذا هو تهاون في أمر كرامته وعزة
نفسه ، وإذا هو لم يبذل دماؤه وأمواله في سبيل المحافظة عليها .
نرى إنساناً هيناً على نفسه يتزلف إلى إنسان ينقر منه ،
ويتكلف الخفة معه ، وهو يرى فيه الثقل المتجسم ، ويلصق نفسه
به ، بينما هو لا يحترم له نفساً ، وقد يسدى إليه الفضل بينما هو
يتنكر لفضله ، فهذا الإنسان يحقر نفسه ، ويعمل على تلاشي عزته
وكرامته ، وهو الذي عناه الرسول بقوله :

« لا تصحب أحداً لا يرى من الفضل كمثل ما ترى له » رواه أبو نعيم
ونرى إنساناً آخر ، خفيفاً طائشاً ، يسبق أسانه تفكيره ،
وتصرفه عقله ، لا يبالى أن أخطأ وأسرف في الخطأ ، ما دام يستطيع
إلحاق الخطأ بالاعتذار - والاعتذار اعتراف صريح بالنقص - وهو
لا يدرى أنه يدفع ثمن خطئه من كرامته وماء وجهه وعزة نفسه ،
ولهذا حذر الرسول مما يعتذر منه :

« إياك وما يعتذر منه » رواه ابن ماجه

ونرى إنساناً ثالثاً يعشق التطفل ويتفانى فيه ، ويربحه أن يشغل
نفسه سحابة النهار بما له وبما ليس له ، وبما يهجم وبما لا يهجم ، ولو

فكر قليلا لأدرك أنه يدفع ثمن تطفله هذا من كرامته وإيائه وعزة نفسه ، وما أجمل الرسول حين حارب هذا التطفل بقوله :

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » - رواه الترمذي
ونرى صنفا من الناس غير أولئك ، يعرف قدر نفسه ، ويضن بكرامته وعزته ، يظهر بمظهر الخلق الرفيع ، فهو متواضع جم التواضع ، ولكنه إذا تواضع فأنما في غير نقص ولا منقصة ، وهو ذليل في نفسه يكره الكبرياء الكاذبة ، وينفر من العظمة الفارغة ، ولكنه إذا ذل في نفسه فأنما في غير مسكنة ولا حقارة ولا مهانة ، وهذا الصنف من الناس هو الذي عناه الرسول بقوله :

« طوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذل في نفسه من غير مسكنة »
رواه البخاري

وقد تضطربنا ظروف القاهرة قاسية . وترغمنا أحوال قاسية على أن نطلب من بعض الناس شيئا نحتاج اليه ، ولكن في سبيل المحافظة على الكرامة والعزة يجب أن نطلب الخوانج بعزة الأنفس حتى إذا ظفروا بها أخذناها بعزة ، وإذا لم نظفر بها لم ندفع من كرامتنا شيئا ، ومع هذا وذاك ، فإن الأمور إنما تجري بقدر الله تعالى ، وما قدر يكن لك ، وإلى هذا المعنى يشير الرسول :

« اطلبوا الخوانج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير »
رواه ابن عساکر

علو الهمة

أنت في مسيس الحاجة إلى أن تكون على الهمة ، فعلو الهمة
مراجعة علو النفس ، ويستطيع كل إنسان أن يكون على الهمة
إذا أكبر من شأن هذه الصفة وقدرها حق قدرها ، وإلى هذا
المعنى الجليل الخطير نرى الرسول يدفع على الهمة إلى أن تطمح
نفسه ، وتتطلع عيناها إلى معالي الأمور ، ويتعقف عن سفاسفها
وصغائرها :

« إن الله يحب معالي الأخلاق ويبغض سفاسفها » رواه البيهقي
ويحذره على أن لا يبذل وقته رخيصة فيما لا يعنيه ، ولا يشغل عقله
أو يضني فكره فيما لا يفيد منه ولا يعود عليه بأدنى نفع .
« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي .
« دع قيل وقال » رواه الطبراني .

ويفرس فيه دائما أن يحترم نفسه ويعزها ، ويضطر الناس إلى
إكرامها ، ويظهرها بمظهر التجلة والاحترام ، ويضعها في الموضع
اللائق بها فلا يجالس إلا الكبراء ولا يزاحم إلا العلماء ، ولا يحرص
إلا على مخالطة الحكماء :

« جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء » .
رواه الطبراني

ولما كانت المغامرة دليلاً على علو الهمة ، ورفعة النفس ،
لأنها من مستلزمات الحياة لمن أراد حياة ناجحة ، ولمن أراد
أن يشق طريقه نحو المجد .

فإذا بحثت عن أولئك الذين بلغوا قمة المجد وذروة السناء ،
لم تجد غير المغامرة ديدناً لهم .

وإذا نظرت عن أولئك الذين تأخر بهم الركب ففقدوا
بالحياة الدنيا ، وأظلمت أمامهم سبل المجد ، لم تجد غير الدعة
والخمول رائداً لهم .

لذلك — لم يفت الرسول الأعظم — صلوات الله وسلامه
عليه — أن يبعث روح المغامرة في أمة أمراً إياهم بالاستعانة
بالله والافلات من العجز ومسبباته :

« استعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني
فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ،
فإن لو تفتح عمل الشيطان » — رواه مسلم .

الاتزان والتروى

إن الحياة الصحيحة الناجحة ، لتتطلب الاتزان فى كل شىء ،
والتروى فى كل أمر ، وقليل أولئك الذين يسرون فى حياتهم
على هذا المبدأ الدقيق ، ويسلمون من التسرع فى تصرفاتهم ،
والطيش فى تحركاتهم وأقوالهم وأفعالهم .

الحياة الناجحة فى حاجة إلى الاتزان والتروى والتؤدة ، حتى
يستطيع الإنسان أن يظفر بالنجاح فى كل أموره ، وفى جميع
خطواته ، وحتى يسلم من الزلل والخرج فى تصرفاته .

والرفق والأناة يمهدان للاتزان والتروى والتؤدة ، وهما دليل
التفكير السليم والعقل الناضج ، والحزم الوقور ، وما أكثر
ما أوصى الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — بالرفق والأناة
لقدرهما وعظم شأنهما ، وأثرهما فى توجيه الإنسان نحو الحياة
الصحيحة الناجحة :

« إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » — متفق عليه .

« إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء .

إلا شانه » — رواه مسلم .

« العجلة من الشيطان ، والأناة من الله » — رواه الترمذى .

والإنسان فى حياته معرض للآزمات المستعصية ، والأمور

المخرجة ، والضوابط الشديدة المستحكمة الحلقات ، فلا بد له من الصبر والتؤدة ، حتى يهبه الله المخرج ، ويهديه إلى الخلاص ، ويسهل له طريق النجاح .

« إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته ، حتى يريك الله منه المخرج »

رواه البخاري

والإنسان في حياته معرض لأن يسلك طريقاً من الطرق ، أو يغامر في ناحية من النواحي ، أو يهدف إلى هدف من الأهداف ، وفي هذه الأحوال جميعها ، يكون في مسيس الحاجة إلى التدبير وبعد النظر ، ودراسة الطريق قبل أن يسلكه ، والناحية قبل أن يغامر فيها ، والهدف قبل أن يصوت إليه جهده ، وتقدير النتائج قبل كل شيء ، وإلى هذا يوجه الرسول ويرشد :

« يا أباذر ، لا عقل كالتدبير . . » رواه ابن ماجه .

« إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته ، فإن كان رشداً فأَمْضِهِ ،

وإن كان غيماً فأنته عنه » رواه ابن المبارك .

الصمت

الانسان الرزين الوقور ينال دائماً تقدير الناس وثقتهم، وينال احترامهم واجلالهم، والثرائر دائماً موضع الزراية والاستخفاف. ومما لا ريب فيه أن الحياة تتطلب انساناً متزناً ينفق كلامه في حكمة وروية، ويؤثر الصمت في معظم احواله وجل أوقاته. لأن الصمت سبيل المرء الى المهابة، ولأن الصمت دليل الرزانة، وعنوان الوقار.

وما أعظم رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - حينما جعل الصمت سبباً للنجاة من كل ما ينغص حياة المرء، والسلامة من كل ما يعكر صفوه ويكدر عيشه :

« من صمت نجا » . رواه الطبراني

سئل عن النجاة فقال :

« أمسك عليك لسانك » . رواه الترمذي

وما أعظمه ، حين اعتبر أن حسن الخلق والصمت من أفضل ما تجمل الخلائق به :

« عليك بحسن الخلق وطول الصمت ، فو الذي نفسي بيده ، ما تجمل الخلائق بمثلهما . رواه أبو يعلى

وما أعظمه أيضاً ، حين اعتبر الصمت سيد الأخلاق :
« الصمت سيد الأخلاق ، ومن مزح استخف به » .

رواه الديلمي

إن الثروة تذهب بهاء المرء ووقاره ، وتنزع من قدره
وشأنه ، وما أعظم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حين
يصفها بأنها سبب لمقاعب المرء ، وحين يجعل الثنار أبغض الناس
إليه ، وأبعدهم منه مجلساً :

« كفى المرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » . رواه مسلم
« وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » .

رواه الترمذي

« إن من أبغضكم إلي ، وأبعدكم مني مجلساً : الثنارون
والمتميقون والمتشدقون » .

رواه الترمذي

المرونة والمداواة

إذا كان الانسان صليبا متعسفاً ، عاش في حياته ضجرآ
معتباً ، وإذا كان مرناً سهلاً ، سلك طريقه في الحياة ، مستريح
النفس مطمئن الخاطر .

إن المرونة لا تكلفك جهداً ، ولا تحملك ما لا تطيق ، بل على
العكس ، فإنها تريح قلبك وتهدئ أعصابك ، وتمهد لك أقرب
السبل ، وأيسر الطرق إلى نيل ما تريد ، وقضاء مصالحك ،
وتحقيق آمالك وغاياتك .

وليس من المرونة في شيء أن تقابل الاساءة بالاساءة ،
والقطيعة بالقطيعة ، والظلم بالظلم . فإن هذه الاخلاق من شأنها
أن تعقد أمور الحياة وتعسرها ، أما إذا قوبلت الاساءة
بالاحسان ، والقطيعة بالوصال ، والظلم بالعفو ، سارت الامور وتيسرت ،
ووصلت سفينة المجتمع الى شاطئ السلامة والنجاة :

« عد من لا يهودك ، واهد لمن لا يهدى لك » . البخاري
« ابتغوا الرفعة عند الله ، قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال :
تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتحلم عن جهل عليك » .

رواه الحاكم

والمداواة صنو المرونة وحياتها ، فهي من أهم مقومات الحياة

الصحيحة الناجحة، والحياة تتطلبها دائماً، وتدعو إلى التسليح بها
والتزود منها .

وليس الاستغناء عنها من الشجاعة والجرأة في شيء، ولا من
الحزم وبعد النظر في قليل أو كثير .

بل إن المستخف بها والمتعفف عنها لمصاب بعقم في التفكير ،
وفساد في الرأي ، وظلام في العقل ..

لا يخلو عصر من العصور من أشرار ... فماذا يجد الانسان
غير المداورة مليجاً ، حتى يتقى شرهم ، ويسلم من خطرهم ، وينجو
من عدوانهم وبغيهم ، ويصون دينه وعرضه من عبثهم ومجونهم ،
والرسول الأعظم يقرنا على مداراتهم ومصانعتهم بأموالنا
وأسفنتنا، وذلك لنعيش في جو هادئ لا قلق فيه ولا تنغيص :
« من استطاع أن يقي دينه وعرضه بماله فليفعل » — الحاكم
« قوا بأموالكم عن أعراضكم ، وليصانع أحدكم بلسانه

عن دينه » . رواه ابن عساكر

وقد يضطر الانسان في حياته إلى مخالطة صنف من الناس
شاذ في أخلاقه ، فلا عليه إذا عاشر هذا الصنف بالمعروف
والحكمة ، بل إنه ليس بحكيم إذا لم يعاشره حتى يغنيه الله عنه :
« ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا بد من معاشرته »

حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً . رواه البيهقي

الناس أربعة

الناس في دنياهم درجات ، وفي حياتهم منازل ، والعلم والجهل هما مقياس للناس جميعاً ، فالعلم ينير الطريق المستقيم للإنسان ويهديه سبل الحياة الناجحة ، فلا يضل ولا يشقى ، ولا يرهق ولا يجهد . والجهل يسير بالإنسان في طريق ملتو معوج مليء بالاشواك ، ويهديه سبل الحياة المعقدة المنغصة ، فيضل ويشقى ، ويجهد ويتعب . والرسول وضح درجات الناس في هذه الحياة ، وقاسمهم بمقياس العلم والجهل ، وذكر أن الناس أربعة : رجل آتاه الله علماً ومالاً ، فأعانه الله على التصرف في أمواله بحكمة وعقل ، وراح ينفق أمواله فيما ينفع نفسه ووطنه وأمته ، ويؤدي حق الله فيه للسائل والمحروم ، ويسهم في المشروعات الإنسانية ، والعمرانية ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤت ماله ، فأظهر نية طيبة ، وعزماً صادقاً ، وتمنى لو أن الله أعطاه مالا ، لاقتدى بذلك الرجل وأنفق ماله فيما أنفق فيه صاحبه ، فاعلم قد نفع الرجلين ، الأول بعمله والثاني بنيته ، ولذلك جعلها الرسول في الأجر سواء . . . ورجل ثالث ، أعطاه الله مالا ولم يعطه علماً ، فراح يتخبط بماله ويبعثه في سبل الشيطان واستولى عليه الجهل والحمق والسفه والحزن ، فأخذ يعصى الله ويتمرّد عليه ، ويتنكر لنعمة ، أشبع بماله شهواته ، واستجاب

لأهوائه ورغباته ، دون أن يصل به رحمه ، أو يعين به فقيراً محتاجاً ، أو مسكيناً بائساً ، أو شقيماً محروماً ، ولم يذهب به هذا المذهب إلا حرمانه العلم ، وبحرمانه العلم ، حرم العقل الناضر ، والتفكير السليم . . . ورجل رابع ، لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالا ، فأضله الجهل ، حتى راح يتمنى أن لو أعطاه الله مالا ، حتى يسير سير صاحبه الجاهل ، وينتهج طريقته ، ويبعثر أمواله في طريق غوايته ويسلمها للشيطان ليهد بها سبيل الفسق والفجور ، فهل ترى أحق من هذا الجاهل الذي يتمنى الشر ، ويشتهى الانحدار إلى الهاوية ؟ ولذلك جعله وصاحبه في الوزر سواء ، فالأول اكتسب الوزر بعمله ، والآخر اكتسبه بنيته ، وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

هكذا يفصل الرسول أنواع الناس في هذه الحياة .

« مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالا وعلماً ،

فهو يعمل بعلمه في ماله ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا ، فيقول : رب لو أن لي مالا مثل مال فلان ، لكنت أعمل فيه

بمثل عمله ، فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته

علماً ، فهو ينفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالا

فيقول : لو أن لي مالا مثل مال فلان ، لكنت أنفقه في مثل

ما أنفقه فيه من المعاصي ، فهما في الوزر سواء » — الترمذی

ضريبة الانسانية

إن الانسانية ضريبة مقدسة ، يشعر بها ، ويعتز بقديستها كل من يعتبر نفسه عضواً في المجتمع يجب أن يعمل من أجله ، ويتفانى في سبيل خدمته وانهاضه واسعاده .

والرسول الأعظم كثيراً ما ابرز هذا المعنى الحى في تربيته وتوجيهه وإرشاداته ، وطالما حث على اعتناقه والاعتداد به ، وطالما حث على ان يشعر كل فرد من أفراد الامة به ، لأن الامة وحدة مترابطة ، ولا تسعد إلا باعضائها ، وحين يشعر كل عضو في الامة بأن عليه ضريبة يجب أن يؤديها للانسانية لا بد أن تحيا الحياة الطيبة ، وتعيش العيش الرضى . .

وضريبة الانسانية في متناول كل فرد ان يؤديها ، وقد وضع الرسول ﷺ طرقاً ووسائل بحيث لا يعجز فرد امامها ، ولا يستطيع فرد الهرب والتهرب منها .

وأهمية هذه الضريبة هي أن يشعر كل عضو بوجود أمته ويشعر بحاجب هذا بحق مجتمعهما عليه ، فيؤدي للانسانية الضريبة التي تعود بالخير على أمته ومجتمعهما ، وما أجمل الرسول حين اعتبر أن كل سلامى في الانسان عليه صدقة — والسلامى هو كل مفصل في الجسم — ولكثرة السلاميات في الجسم ، وضع الرسول

كثرة الطرق التي يمكن للانسان أن يدلي فيها بصدقاته، مما لا يعجز أمامها فرد واحد، ولا يستطيع أن يتهرب منها إلا كل جاحد يعيش في حياته جماداً أو أهون من الجماد :

« كل سلامي عليه من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » .
متفق عليه

وفي حديث آخر وضع الرسول طرقاً أخرى، يؤدي الانسان في مجالها ضريبة الانسانية المقدسة، فقال :

« على كل مسلم صدقة، قال : أرأيت إن لم يجد؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال أرأيت إن لم يستطع؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف، قال : أرأيت إن لم يستطع؟ قال : يأمر بالمعروف — أو الخير — قال : أرأيت إن لم يفعل؟ قال : يمسك عن الشر، فانها صدقة » .
متفق عليه

ولقد أوجل الرسول طرق الخير، في شيء واحد لا يدع مجالاً لاعتذر، ألا وهو المعروف، فقال :

« كل معروف صدقة » .
متفق عليه

الرجولة والشجاعة

لا خير في حياتك إذا لم تكن رجلاً شجاعاً ، والرجولة والشجاعة من ضروريات الحياة ، لمن يريد حياة أبية كريمة .
وليس الرجولة والشجاعة أن تبطش بالضعيف ، وتستخف بالأعزل ، وتبغى على العاجز ، ولكن الرجولة والشجاعة أن تعطي كلمة الحق أينما كنت ، لا تخاف في الله لومة لائم ، ومهما كلفك إعلاؤها من جهد وبذل وتضحية .

ولا تستقيم شؤون الحياة لفرد ولا لجماعة إلا إذا علت كلمة الحق ووجدت رجولة تسندها ، وشجاعة تؤيدها :
« يا أيها رسول الله على أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » — متفق عليه من حديث عبادة .

« أوصاني خليلي — صلى الله عليه وسلم — بصلة الرحم — وإن أدبرت — وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا »
رواه ابن حبان

« لا يمتنع رجلاً هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه » .
رواه ابن ماجه

والرجل الشجاع يجهر بالحق دون أن يبالى بوعده أو وعيد ، فقول الحق لا يقدم أجلاً ، ولا يحرم رزقاً ، لأن الله مؤيده وناصره وأخذ بيده :

« لا ينبغي لامرئ، شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به ، فانه
ان يقدم أجله ، وان يحرم رزقه » — رواه البيهقي .

وأحق ألوان الرجولة والشجاعة بالتقدير ، أن ترفع كلمة
الحق في مجالس ذوى الجاه والسطان ، لا سيما إذا كانوا جنة ظلمة
يخشى بأسهم ، ويخاف شرهم ، دون أن تخاف فيه لومة لأنهم ،
لأن إعلان كلمة الحق في مجالس هؤلاء ، مما يعود على الأمة
جميعا بالخير — ولهذا كان رفع كلمة الحق في مجلس السلطان
الجائر أفضل الجهاد ، وكان القتل بين يديه بسبب رفع كلمة
الحق سيد الشهداء . . .

« أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر » — رواه أبو داود

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام
جائر فأمره ونهاه ... فقتله » — رواه الحاكم .

كن عصاميا

ما أحوج كل إنسان إلى أن ينشأ عصاميا ، يعتمد على نفسه
غير معول على أحد .

وما أحوج كل إنسان أيضا إلى أن يربي تربية استقلالية ،
فيشب رجلا مكتمل الرجولة في كل شيء ، وكان عظيما من مجد
— صلوات الله وسلامه عليه — أن يهتم بهذه التفشئة وتلك التربية
« هتاما بالغاً ، فينهى المسلم عن أن يكون إمعة لا رأى له ، يسير
مع الناس حتما ساروا ، وإن أحسنوا أو أساءوا .

« لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن
الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم
إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم .

وقد تعجب كل المعجب أن ترى طائفة من الجهال لا هم لهم
إلا القشديق بالأحساب ، والثرثرة بالأنساب ، ويطيّب لهم التبارى
والنزال في هذا الميدان ، وهذه وصمة جهل وحمق وغباوة ،
يوصمون بها أنفسهم ، ذلك لأنهم يريدون أن تكون الحياة
الناضرة ، والمعيشة الراضية وفقا عليهم دون غيرهم .

وكان عظيما منه أن يكافح هذه النعرة الجاهلية ، ليهبش
الإنسان بعمله — وحده — مرفوع الرأس ، على الجبهة .

« من أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه ، ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه »
رواه مسلم

وهناك طائفة أخرى من هؤلاء الجهلة ، لا مهمة لهم في الحياة ، إلا الفخر بأنهم ، متخذين من هذا سبيلاً إلى احتقار الناس والاستخفاف بأقدارهم ، وكم ندد الرسول هؤلاء الجهلة الأغبياء :
« ليدعن قوم الفخر بأنهم ، وقد صاروا فخماً في جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بأنفها القدر »
رواه الترمذي وغيره

وهناك طائفة ثالثة ، تعتمد على عصبيية نكراء في إثارة الفتن وإشعال نار الفوضى — تأتي إلا أن تفرض سيادتها فرضاً على البلد الذي تعيش فيه ، وتأتي إلا أن تكون لسانه الناطق ، وقلبه النابض وعقله المدبر ورأسه المفكر . . .

هكذا صارت العصبييات مشار الفتن ، ومبعث الحن ، ينشأ من يربون بين أحضانها نفثئة حمقاء ، ويندر أن ينشأ فرد واحد منهم عصامياً معتزلاً بنفسه ، معتداً بشخصه ، ما دام له من عصبييته متكأ وسند . . .

لأزالت هذه العصبييات نكبة الشرق الاسلامي ، والدارس لأحواله ، والمتجول بين شعوبه ، يبدو له جلياً رزية العصبييات ، التي تحترف استعباد العزل والاستبداد بالضعفاء ، وقتل الروح

المعنوية والقضاء على الشجاعة الأدبية ١٠٠
أليس عظيماً بعدئذ من مجد — صلوات الله وسلامه عليه —
أن يندد بالعصبية تنديداً قاسياً صراً — ويبرىء الاسلام منها . ؟
« لا عصبية في الاسلام » .

ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية ،
وليس منا من مات على عصبية » .

« من قاتل تحت راية عمية ، يغضب لعصبية ، أو يدعو
لعصبية ، أو ينصر عصبية فقتل ، فقتلته جاهلية » — متفق عليه .
وهناك طائفة رابعة أدهى وأمر ، وأكثر حمقا وغباوة
وجهاً ، وأشد سفاهة وصفاقة وتنطعا .

تخلق لنفسها عصبية من المال والعبيد ، فلا ينجل أحدهم
أن يحرز لشخصه عشرات من العبيد يأكلون ويتمتعون كما تأكل
الأنعام ، يثورون لثورته ، ويفضبون لغضبه ويستجيبون لصيحته
ولو كانت لأزهاق الأرواح وإتلاف الأرض وقطع الطرق . !

أليست هذه هي الطائفة الحقاء التي أنذرها محمد — صلوات الله
وسلامه عليه — بالذلة والمسكنة :

« من اعتر بالعبيد أذله الله . »
رواه أبو نعيم

أسرار الحياة الفاشلة

اليأس

الانسان معرض في حياته لأزمات قد تكون مستحكمة ،
ومعرض لمشكلات قد تكون مستعصية ، فمن الخطأ أن يقف
أمام هذه الأزمات وتلك المشكلات ، مكتوف اليدين ، مشلول
التفكير ، معتوه البصيرة ، لا يسعى في التغلب على أزماته ولا يجهد
نفسه لحل مشكلاته ، بل يستسلم لليأس ، ويستكين للدعة والكسل .

إن اليأس مرض خطير ، لا يستقيم لأمة حال إذا سيطر على
أفرادها ، لأن اليأس يقتل المواهب ، ويثبط الجهود ، ويعرقل
المغامرة ، ويقضى على معالم الحيوية والقوة ، ويحطم الآمال
التي تستحث الهمم ، وتستثير التنافس والمثابرة .

وأشد ألوان اليأس خطورة على كيان الأمم ، ذلك اليأس
الذى يدفع المرء إلى التهرب من الحياة وتكاليفها ، فيشتغل
بالخلاص من الدنيا ، أو يعتمد على الخلاص منها ، والرسول عليه
السلام يندد بهذا اللون من اليأس :

« لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به » .

رواه البخارى

« من تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو في نار جهنم خالدًا

خلدا فيها أبداً ، ومن تحصى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه
في نار جهنم خلداً خلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بخديده ،
فخديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خلداً خلداً
فيها أبداً .
متفق عليه

وهناك لون من اليأس يدفع الانسان إلى التردد في جميع
أحواله ، ويسلط عليه الندم يسلبه هدوءه وراحته ، فإذا خطا
خطوة لم يصبرها التوفيق ، وإذا غامر مغامرة لم يحالفها النجاح ،
تحمس وضرب كفاً بكف ، واستسلم للهوا جس والوساوس تلعبان
به ، وتسيطران عليه ، ولم يفقه أن مرات الفشل إن هي إلا خطوات
سريعة نحو النجاح ، والرسول عليه السلام كافح هذا اللون بقوله :
« ... واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل
لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء
فعل ، فإن لو تفتتح عمل الشيطان . »
رواه مسلم

والرسول - يتولى مكافحة الهم الذي يغرسه اليأس في الانسان ،
حتى يستقبل الانسان حياة باسمه لا تنغيص فيها ولا تعكير ، ولا هلع
فيها ولا جزع وحتى لا تضعف همته ولا تتخاذل عزيمته ، وحتى
يستطيع أن ينتج في صبر وثبات ، وجد واتزان :

« ألهم نصف الهرم »
رواه الديلمي

« لا يكثر همك ، ما قدر يكن ، وما تزق يأتك » رواه البيهقي

الرياء

من شر ما أصيب به الأمم هو الرياء ، هذا المرض الذي يستشري في كثير من الأمم دون رحمة ، ويذهب بها أعمالها ، ويكدر صفو نضالها في الحياة .

إنك لترى أناساً يعملون ، ويسرفون في العمل ، ولكن وجهتهم في العمل حب الظهور والسمعة والرياء .

وترى أناساً يناضلون ويكافحون ويجاهدون ، ولكن وجهتهم في نضالهم وكفاحهم وجهادهم ، أن يقال عنهم ، مناضلون ، كاخون .. مجاهدون ..

وترى أناساً في المناسبات الانسانية ، والمناسبات الوطنية يتبرعون عن سخاء مفرط ، ولكن وجهتهم في تبرعاتهم ، أن تسجل تبرعاتهم في قائمة المتبرعين ، وتسجل أسماءهم في سجل الشرف .

وترى أناساً يعملون ، أو يتبرعون ، ولكنهم يملأون الدنيا ثروة وصخباً ، مدفوعين بشهوة الرياء التي تغلغلت في نفوسهم .

هؤلاء جميعاً . . لا يقصدون وجه الله ولا وجه الوطن ، ولا وجه الانسانية ، فلا مثوبة لهم على عملهم ، أو نضالهم ، أو تبرعهم ، لانهم قبضوا الثمن مقدماً من الرياء . .

« قيل يا رسول الله : رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو
يبتغي عرضاً من عرض الدنيا ، فقال : لا أجر له » متفق عليه .
« وقال له أبو إمامة : أرأيت رجلاً غزا يلمتمس الأجر والذكر
ماله ؟ قال : لا شيء له . . » — رواه النسائي .

إن الرياء من أخطر الأمراض الاجتماعية على الأمم ، فهو يشجع
المرضى به على أن يعملوا من أجله وحده ، ولكنهم إذا لم يتيسر
المجال لتحقيق رغبتهم من الرياء والسمعة والشهرة ، تفهقروا
وتكاسلوا ، وانهار ركن كان الوطن مضطراً إلى أن يعتمد عليه .
كانت الألقاب والأوسمة مثلاً ، هي هدف المرأئين في كل أعمالهم
وتبرعاتهم . . . ولم تكد تدفع الألقاب حتى انكش طلابها . . . أما إذا
أزيلت الرغبات ، وابتغى العاملون وجه الله ورفعة الوطن ، دامت
أعمالهم وبورك فيها ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصاً
على أن يواجه العاملين إلى الله وحده ليكافح هذا المرض .
« إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به
وجهه » — رواه النسائي .

ولقد ندد الرسول كثيراً بالرياء لأنه السوس الذي ينخر
في كيان الأمة ، ويشوه بهاها حتى سماه الشرك الأصغر .
« إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر ، قالوا :
وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء » — رواه أحمد .

المجون

المجون هو الاستخفاف المعيب والاستهتار المشين ، ولا يكاد يخلو مجتمع في أى عصر من العصور من هذا المرض الخطير .

والانسان الماسجن لا يبالي بما يفعل ، ولو كان جريمة فى حق الدين والوطن والانسانية والمجتمع ، ولا يكثر لما يحدث ، ولو كان مجانباً للفضيلة والمروءة ، والذوق والكرامة والأشرف .

ليس هناك أدنى فرق بين الماسجن والمعتوه ، وليس هناك أدنى شك فى أن الانسان الماسجن لا يمكن أن يسلم من الحق والعباوة والجهل ، وهذه جميعاً تسيطر على عقله سيطرة تامة ، حتى يفقد قواه فيسئ التصرف ويتخبط فيه ذات اليمين وذات الشمال .

وشر ألوان المجون ما يدفع المريض به إلى الفخر بجرائمه وآثامه وفجوره ، والتشهير بما يرتكب من مخاز ورزايا ، حتى ولو كان الله عز وجل قد ستر عليه كل أولئك... وهذا اللون من المجون يعتمد على الحق والاستهتار والتبجح ، وكفى بهذه رزية وأى رزية ، وإلى هذا اللون البغيض الممقوت يشير الرسول بقوله :

« كل أمتى معاقى إلا الجاهرين ، وإن من الجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان ، عملت

البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشفه
ستر الله عنه » .
رواه البخارى

ومما لا ريب فيه ، أن المجون لا ينمو إلا فى نفوس من لا حياء
فيهم ، لأن هناك عداء مستحكما بين المجون والحياء ، فلا مجون
حيث الحياء ، ولا حياء حيث المجون ، ولقد أكد الرسول هذا
المعنى بقوله :

« إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح
فاصنع ما شئت » .
رواه البخارى

وما أجهل الرسول حين يغرس الحياء فى النفوس حتى تخلص
من المجون ، هذا الداء الدوى الوبيل ...

« الحياء خير كله » .
رواه مسلم

« الحياء لا يأتى إلا بخير » .
متفق عليه

« الحياء شعبة من الايمان » .
متفق عليه

« إن الله يحب الحي الخليم » .
رواه الطبرانى

« الحياء والايمان قرنا جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » .

رواه أبو نعيم

الغرور

الغرور مبعثه الجهل المطبق، والعجب بالنفس شر أنواع
الغرور، والرسول الأعظم — صلوات الله وسلامه عليه — يصم
الغرور المعجب بنفسه بالجهل وينذره بالهلاك .

« كفى المرء جهلاً إذا أعجب برأيه » . رواه الطبراني
« ثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشح مطاع ، وإعجاب
المرء بنفسه » . رواه أبو الشيخ

وما أعظمه — صلوات الله وسلامه عليه — حين يكافح الغرور
في أسلوب عذب، فيظهر شخصيته العظمى بظهر شخصية عادية،
يجرى عليه ما يجري على الجميع سواء بسواء .
« إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني » .

متفق عليه
« إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ،
وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فأنما أنا بشر » . متفق عليه
« إنما أنا بشر ، وإنه يأتيني الخصم ، فلهل بعصمهم أن يكون أبلغ
من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فأقضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم
فإنما هي قطعة من النار ، فليحملها أو يذرها » . متفق عليه

« لن يدخل أحدكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟
قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله منه ». متفق عليه

إن الغرور يفسد على المرء حياته ، وينغص عليه عيشه ، فهو
لا يستطيع أن يسلك الحياة وحيداً ، ولا غنى له عن المجتمع الذي
يعيش فيه ، ولن يتيسر له العيش المطمئن إلا إذا نال محبة الناس
وإن يدرك محبة الناس مغرور أبداً ، فالغرور يجنى عليه من حيث
يشعر ومن حيث لا يشعر .

والرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لم يفته أن يكافح
الدوافع التي تدفع الانسان إلى الغرور ، كما أن يجب أن يتميز على
غيره من الناس ، وهو لون من الغرور الكاذب ، وفي هذا يقول
عليه السلام :

« من سره أن يتمثل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من
النار » .
رواه أبو داود والترمذي

الآثرة والانانية

إن هناك مرضا اجتماعيا خطيرا ، هو الآثرة والانانية ،
إذا تفشى في مجتمع لم يدعه إلا بعد أن تنهار أركانه ، وينقرض
كيانه ، وتنحل روابطه .

وإذا توغل في أمة لم يذرهما إلا خاوية على عروشها ، تتعثر
خلف الصفوف ، وتنكمش في زوايا الاهمال ، وتترنح فوق حضيض
الدعة والخبول ...

هذا الداء الخبيث ... يوجه كل فرد في المجتمع إلى أن يعمل
لنفسه ، وأن يعيش لنفسه ، لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ،
ولا يكره له ما يكره لنفسه ، لا يبالي إن اجتاحت الفاقة المجتمع ،
ما دام هو يمرح في الثروة والغنى ، ولا يبالي إن هلك المجتمع
جوعا ، ما دام هو يتلوى من التخممة ، ولا يبالي إن امتص الشقاء
المجتمع ، ما دام هو يرتع في بحبوحة من السعادة ...

والرسول — صلوات الله وسلامه عليه — يتولى مكافحة
هذا الداء الخبيث ، حتى يسلم المجتمع منه ، فينبى الإيمان عن
الأناني ليكون عظة وعبرة لغيره .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه

« ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع الى جنبه » .

رواه البخارى

والرسول يغرس فى النفوس حب القناعة ، حتى تتخلص من
الانانية ، فيشير الى أن قدم الواحد كاف لاثنين ، وأن طعام الاثنين
كان لأربعة . . . وهكذا حتى إذا فاجأت المجتمع جائحة الجوع ،
و كارثة المجاعة ، استطاعت المشاركة أن تخفف من وطأتها ،
وتدفع غائلة الجوع والمجاعة عن المجتمع :

« طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ،
وطعام الأربعة يكفى الثمانية » .

رواه مسلم

ولقد ضرب الرسول الأعظم مثلاً حياً فى مكافحة الأنانية ،
لبعض أصحابه وهم فى سفر ، وقد ألت بهم حاجة وأصابهم
شدة ، فأمر بالآ بمسك أحد ما تبقى معه من فضل زاد أو ظهر
أومال ، حتى ظن أصحابه ألا حق لأحد فى فضل .

« قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : بينما نحن فى سفر مع
النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء على راحلة له ، فجعل يصرف
بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان
معه فضل ظهر فليعد به على من لا زاد له ، فذكر من أصناف
المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل » .

رواه البخارى

ولقد امتدح — عليه السلام — بوما لا أنانية فيهم ، فهم إذا
قل طعامهم في سفر أو إقامة جمعوه وقسموه بينهم بالسوية :
« إن الأشعرين إذا أرملوا في الغزو ، أو قل طعام إعيالهم
بالدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم
في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم » .

متفق عليه

دروس في الحياة

دع ما يريدك الى ما لا يريدك*

هناك أمر يقدم عليه المرء وهو مرتاب فيه ، غير مطمئن اليه
يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ويدفعه الأمل خطوة ويؤخره الوجع
خطوات . وتداخله الطمأنينة والارتياح حيناً ، ويساوره القلق
والاضطراب أحياناً .

وهناك أمر آخر يقدم عليه الانسان وهو ثابت مطمئن ،
لا يقربه الونى ، ولا يتملكه الشك ، ولا يتطرق إليه اليأس ،
ولا يستحوذ عليه المال ، بل يحذوه الأمل ويشمله اليقين ، وتملأ
قلبه الثقة ، ويقوى عزيمته الرجاء .

وليس هناك عاقل واحد ، يؤثر الأمر المضطرب الذي يحوطه
القلق ، على الأمر الثابت المطمئن ، المعتمد على أسس من الاستقرار .
والرسول الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - فى هذا
الدرس الرفيع ، يعلمنا أن الحياة تتطلب من الانسان أن يترك كل
ما يريبه ولا يطمئن إليه ، ويقدم على ما لا يريبه ويثق بالنجاح فيه ،
وبهذا يستطيع أن يشق طريقه فى الحياة مرتاحاً مطمئناً ، يحالفه
الفوز ولا يهترضه الفشل .

أن من خيركم أحسنكم قضاء*

مقياس الرجل في كل نواحي الحياة معاملته ، فإذا حسنت معاملته استطاع أن يسلك حياته ناجحاً ، لا يثقله هم ، ولا ينقصه كدر ، وإذا ساءت معاملته سلك حياته متعباً منغصاً ، وقلقاً متعثرًا ، ينفر الناس منه ، ويتجنبون معاملته ...

كم من فقير لا يملك من الدنيا شيئاً ولكنه يعيش غنياً بمعاملته الطيبة ، إذا احتاج مد الناس إليه أموالهم بأيديهم ، وتنافس المقتمدون في سد حاجته ، اطمئناناً إلى حسن معاملته ، ووفائه في قضاء دينه ، وكم من غني يملك من متاع الدنيا الكثير والكثير ولكنه في معظم الأحيان يعيش فقيراً ، وذلك لسوء معاملته ، فإذا نزلت به شدة ، واحتاج إلى المال يخلصه مما نزل به من شدة ، لم يجد إلى هذا المال سبيلاً ، يمد يده إلى المقتردين ، فتتكش أيديهم ويبذل ما وجهه في ساحة الأغنياء ، فلا تتحرك عواطفهم نحوه ، لأن سوء معاملته قد مزق ما بينه وبين الناس من أواصر ، وأقام بينه وبين الرحماء سداً منيعاً .

هكذا يرسم الرسول الحياة الصحيحة ، ليستطيع المرء أن يسلك حياته وهو أوفر ما يكون راحة ، وأكثر ما يكون نجاحاً .

اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبدا*

المال لازم لكل أمة في تأسيس مجدها — والرسول الأعظم
بحث المسلم على العمل المتواصل كأنه يعيش أبداً ، ليساهم في تشييد
مجد أمته ، ما دام على ما يرضى الحق تبارك وتعالى ، ولكن هناك
أقواما جهلة متنتطعين لم يتذوقوا شيئا من سمو الاسلام الخفيف ،
يريدون من الدنيا أن تكون دار عبادة لا عمل فيها ولا سعى ،
ويريدون من المسلمين أن يكونوا حرقاء المساجد دائما —
لا يحرصون إلا على القوت الكفاف ، لأن الدنيا حلالها حساب
وحرماها عقاب ، ولأن أمام المسلم عقبة كئودا لا يجوزها إلا المحققون .
وبهذا يعطون بسهولة أركان الاسلام ، فمن أين للمسلمين أن
يخرجوا زكاة أموالهم ويحجوا إذا كانت أرزاقهم كفافا ؟ ومن
أين لهم أن يعدوا للعدو ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ،
يرهبون به عدو الله وعدوهم إذا كانوا خصوم المال وأعدائه ... ؟
إن هؤلاء المتنتطعين أساءوا إلى الاسلام بعقليتهم الحقاء . فأن
ثبت الأمة الحمديّة وجودها ، وأنها خير أمة أخرجت للناس ،
إذا اعتبرت الدنيا قذى في العين ، وجيفة قذرة ...
طلابها كلاب .. ؟!

* رواه الديلمي .

ان شر الناس من ترك الناس اتقاء فحشه *

هناك إنسان يفيض حمقاً وسفهاً ، يعيش في عزلة عن الناس على رغم منه ، لأنه رزق أخلاقاً سيئة ، وطبعاً جافاً ، وذوقاً بغيضاً حتى صار كالمرض المعدى يفر الناس منه فرارهم من الأسد .
لقد ألف الناس أن يألقوا اللين الطباع ، الطيب الأخلاق ، النبيل الشمايل ، السليم الذوق ، الموثوق في ذمته وضميره ، كما ألقوا أن ينفروا من السيء الخلق ، الفاحش المتفحش والبذيء . .
والرسول يصف الفاحش الذي يتجنبه المجتمع ، وينفر منه اتقاء فحشه بأنه شر الناس منزلة حتى يعلم حقيقة ، فيكافح غروره ، ويقضي على داء الكبر والشر المستقر في أعماق نفسه ، ويعود إلى المجتمع الذي لا يستغنى عنه إلا جاهل غبي ، أو أحمق عي . !
إن أمثال هذا الذي قصده حديث الرسول كثيرون في كل مجتمع ، يملأ الغرور أنف الواحد منهم ، وكأن لسانه صبيغ في قالب من البذاءة ، ونفسه صهرت في بوتقة من الفحش ، احتقار الناس طبيعة متأصلة فيه ، والاستخفاف بهم لذته لا تدانيها لذة . . !
فلو أن هذا السفهيه وأمثاله عرفوا حقيقة أنفسهم ، أو أن المجتمع حملهم على أن يعرفوا حقيقة أنفسهم ، لطهرت الأرض من رجسهم ، واستراحت الدنيا من شرهم .

إذا وسد الأمر إلى غير أهله

فانتظر الساعة *

إن إسناد الأمر إلى غير أهله جريمة يصلي شقاءها الوطن بأسره ، فإذا ما أسند الأمر إلى من لا يستطيع القيام بمهمته ، ومن ليست له الضمانات العلمية والتجارية التي تؤهله للقيام بهذا الأمر ، اضطربت أحوال الدولة ، وتعرقلت نهضتها ، وتوقف موكب رقيها ... وثبتت همم الجديرين بإسناد مهام الأمور إليهم ، وإلقاء عظام الشؤون على عواتقهم .

هذه لفظة كريمة من أستاذ الحياة للمسؤولين عن الأمم والدول ، تحمل في معناها بذراً يحجر وراه مالا تحمد عقباه .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يوضح في هذه اللفظة الكريمة أن الأمر إذا أسند إلى غير أهله من الكسالى الذين تدفع بهم المحسوبية والزلفى إلى مقدمة الصفوف ، وترك أهله والجديرون به ، لأنهم لا يتمتعون بمحسوبية ، وتربأ بهم نفوسهم عن الزلفى - إذا حدث هذا في أمة ، أصاب حياتها الاضطراب ، ولحق شؤونها البلبلة ، وانهارت دعائم الاستقرار بين أركانها ، وانكشفت في زوايا الاهمال والمهانة والنسيان . . . !

* رواه البخارى .

الرجل على دين خليله

فلا ينظر أحدكم من يخال *

المروء قليل بنفسه ، كثير باخوانه ، ولا يمكن لانسـان أن يقطع مراحل حياته وحيداً فريداً ، إلا إذا رغب في حياة لا وجود له فيها ، ولا كيان له فوق أرضها وتحت سماءها .

إذن ، فالإنسان في مسيس الحاجة إلى صديق يأنس في صداقته ، ويطمئن إلى أخلاقه ، ويعتز برجواته وشهامته ، يلجأ إليه في شدته فيجد فيه المروءة ، فيفرع إليه في ضيقه فيستجيب له .

وما دام الإنسان لا غنى له في حياته عن الصديق ، فليختر الصديق الجدير بالأخوة ، الذي يطمئن إليه في صداقته ، ويثق به في مودته وعشرته . وصديقك عنوانك ، فإذا اخترت الصديق المرضي بالأخلاق ، دلت على طيب عنصرك ، وسمو خلقك ، وعلو نفسك ، وإذا اخترت نقيضه كنت نقيض ذلك .

إن من الأصدقاء مزيفين — هم كالثعالب — إذا كنت في رخاء حاطوك في صباحك ومساءلك ، وهالوا حولك في غدوك ورواحك ، وإذا كنت في شدتك تفرقوا عنك ، وتناسوا وجودك ، وإن من الأصدقاء — أئذا لا — إذا احتاجوا إليك هرعوا نحوك ، وإذا لم يحتاجوا إليك اعتزلوا مجلسك ، فهم والنبل على طرفي نقيض .
فياك وهذين الصنفين من الأصدقاء فانهما أجدر بالحذر . . .

رواه الترمذي

انظروا الى من هو أسفل منكم

ولا تنظروا إلى من هو فوقكم

فانه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم *

فما لا ريب فيه أن الانسان يتطلع دائماً إلى من هو أعلى منه ،
في الثروة أو الجاه أو الصحة أو السعادة أو غير ذلك ، ولا شك
في أن هذا التطلع يتعبه ويضيقه ، ويزعج حياته ، ويقاق باله ،
ويمرر عيشته ، ويجعل من سعادته شقاء ، ومن نعمه جحماً ،
ومن سروره نكداً ، ومن راحته تعباً ، ومن استقراره قلقاً . .
وهذا هو السر في أمر الرسول المسلم بالنظر إلى من هو
أقل منه ، ونهيه عن النظر إلى من هو أعلى منه حتى يعيش
مستريحاً في حياته ، لا يحقر ما فيه من نعمة وهناء وسعادة ،
قانعاً بما أوتي من رزق ، راضياً بما قسم الله ، من حياة ،
شاكراً لأنعمه — وهذا نوع من التربية الرفيعة التي لا تصلح
حياة الفرد بغيره ، ولا تستقر بدونه .

أما إذا كان نظر المسلم إلى من هو فوقه بقصد الطموح
والمنافسة ، فلا مانع من هذا ، لأن النظر المنهني عنه إنما هو
نظر العاجز الذي لا حيلة له في السعي والطموح .

* رواد مسلم

أحبب حبيبك هونا ما

عسى أن يكون بغيضك يوماً ما — وأبغض بغيضك هوناً ما ،
عسى أن يكون حبيبك يوماً ما *

الرسول الأعظم — يعلمنا أن الحياة تتطلب دائماً التريث
في كل حالة ، وتمتج الاندفاع في تيار قد لا يسلم المدفع فيه من
شره ، وما أخرج المرء إلى التريث وعدم الاندفاع في مصداقته
ومعاداته ، ومصاحبته ، ومفارقته ، وقربه وبعده . .

فإذا صادقت فليس من الحكمة أن تبالغ في مصداقتك وتجوّد
بمكّنون شرك لصديقك ، فأنت لاتضمن دوام مودته ، ولا بقاء
صداقته ، فلا يستبعد أن يصير عدواً لك في يوم ما ، فتكون عندئذ
قد أسلمت له نفسك ، وأمكنته من شخصك ، ومهدت له طريقاً
للنيل منك ، والسطو عليك .

كذلك إذا عادت فليس من الحكمة أيضاً أن تبالغ في عداوتك
حتى تقطع كل حبال مودتك ، وتلقى بأخـر سهم للتشفي منه ،
فلا يبعد أن تنقلب العداوة صداقة أو البغضاء محبة ، والقطيعة
صلة ، فتكون قد أخرجت نفسك وألستها ثوب الندم والملامة . .

* رواه الترمذی .

من استطاع منكم ان ينفع أخاه فلينفعه *

لا يقوى أى انسان فى الحياة على أن يعيش وحده ، ولذلك
كان لا بد للناس من تعاون فى هذه الحياة ، ولا يجدى هذا
التعاون ، بل وإن يكون له أدنى وجود ، إلا إذا تلاشت الأثرة
والأنانية تلاشيا نهائيا .

وفى هذا الحديث الشريف لون رفيع من التربية ، حيث يدفع
الرسول كل انسان إلى تخليص نفسه من الأنانية ، والعمل على
نفع أى انسان آخر يستطیع نفعه ، وبذلك يمكن للتعاون أن
يسلك طريقه فى المجتمع الانسانى ، ويتوفر الحب فى قلوب
أفراده على السواء .

كل منا يستطيع أن يفكر من أجل غيره — ولا خير فيه
إذا عاش لنفسه فقط — كما يستطيع أن يقدم نفعاً — قل أو
كثير — لمن هم فى حاجة الى النفع ، وحتى كان هذا ، أصبح
المجتمع مجتمعا متساندا متعاوناً ، يقطع مراحل الحياة فى ظل
الأمن والاستقرار .

هذه هي الحياة

تربية عامة من تعاليم أستاذ الحياة عليه السلام

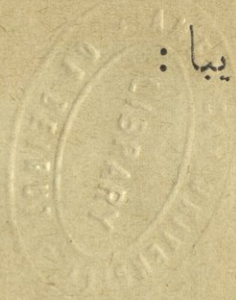
- * ابدأ بمن تقول .
- * قيدها وتوكل .
- * تهادوا وتحابوا .
- * ما عال من اقتصد .
- * الكلمة الطيبة صدقة .
- * خالقوا الناس بأخلاقهم .
- * انما الطاعة في المعروف .
- * الصبر عند الصدمة الأولى .
- * احترسوا من الناس بسوء الظن .
- * ان الله يحب العبد التقي الغني الحفي .
- * استأنسوا بالوحدة عن الجلساء السوء .
- * شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع .
- * إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .
- * ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس .

- * ما كرهت أن يراه الناس منك ،
فلا تفعله بنفسك إذا خلوت .
- * ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب .
- * البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في
صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس .
- * الاقتصاد نصف المعيشة ، والتوودد إلى الناس
نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم .
- * ليس بخير كم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته
لدنياه ، حتى يصيب منها جميعاً ، فإن الدنيا بلاغ
إلى الآخرة ، ولا تكونوا كلاً على الناس .

الرسالة القادمة

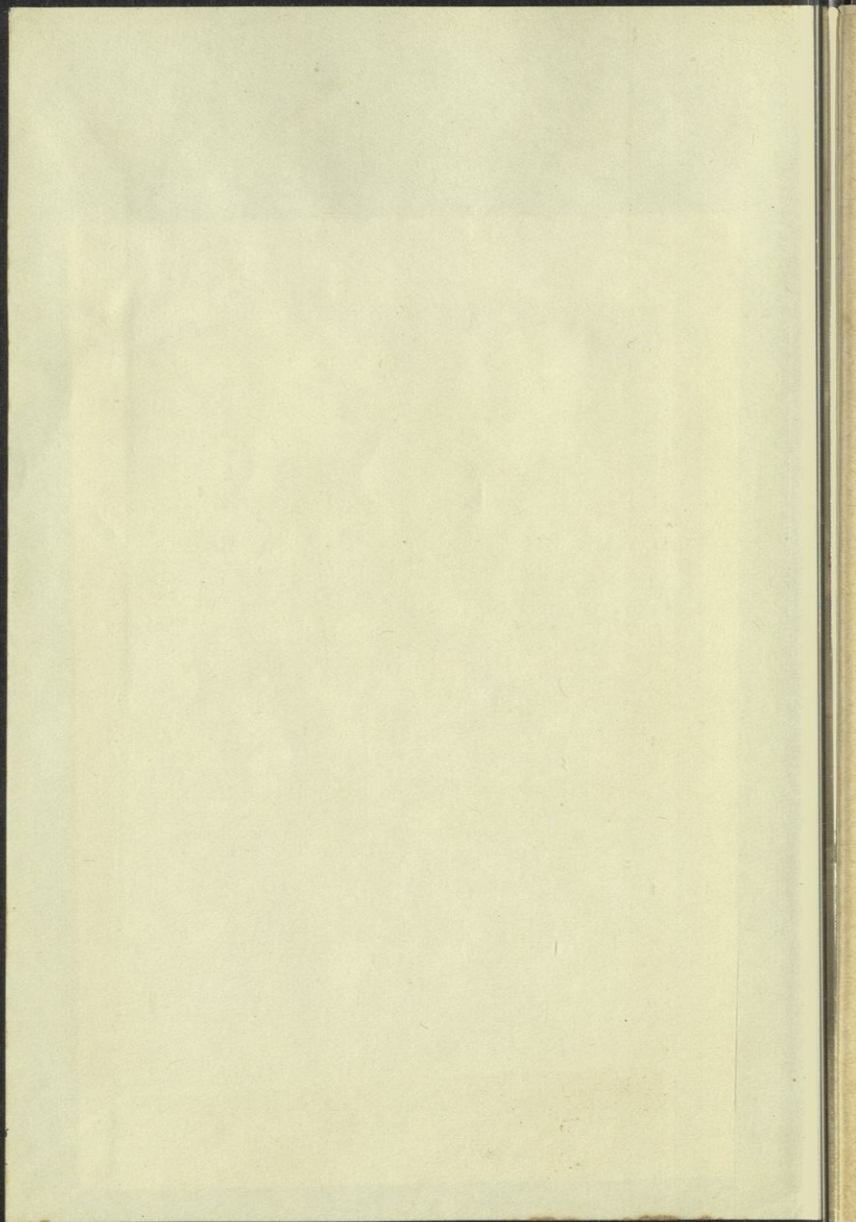
أركان الدعوة الإسلامية

قريباً :



الاسلام المصفى

نورة على الجود الفكرى
والهوس الدينى



297.63:S189rA:c.1

السمان، محمد عبد الله

الرسول استاذ الحياة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01013383

297.63:S189rA

السمان

297.63
S189rA

297.63
S189rA
C.I